جامعة الشهيد – أحمد زبـانة – غليزان
كليّة الآداب واللغات/ قسم اللغة العربيّة وآدابها
د/ أمينـة دحـو

ملخص محاضرات مقياس الأدب المقارن – عن بعد–
للسنة الأولى ماستير تخصص أدب جزائري

- إشكاليّة التسمية والمصطلح في الأدب المقارن:

لقد شكّل مصطلح الأدب المقارن هاجسا معرفيّا لدى معظم النقاد، لدرجة أنّ منهم من وسَمَ الأمر بالمعضلة، في هذا الصدد يدلي الدكتور حسام الخطيب في كتابه الموسوم بآفاق الأدب المقارن عربيّا وعالميّا " ليس هناك اليوم أيّ نسق معرفيّ يعاني من مشكلات النظريّة والمنهج قدر ما يعانيه الأدب المقارن."

وإذا ما حاول المتلقي التمحيص فيما أدلى به الدكتور حسام الخطيب، فإنّ المعضلة المعرفيّة تتحدّد في ثلاثة أوجه:

1- معضلة البحث عن المنطق الخاص للأدب المقارن، أي عن نسق معرفيّ بحثيّ خاصّ، من شأنه أن يميّز الأدب المقارن عن غيره من باقي فروع المعرفة الأدبيّة، على وجه التحديد، بينه وبين الادب العام والأدب العالميّ وتاريخ الأدب القوميّ.

2- مشكلة ضبط مجالات بحثه وحصرها في عمليّة التأثير والتأثر التي قد تقترب في بعض الأحيان من مفهوم السرقات الأدبيّة عند العرب القدامى، وكذا تحوّل العلاقة التكامليّة بينه وبين الترجمة، إلى علاقة احتدام وصراع حول أسبقيّة الفضل، بعد أن اعتبرت الترجمة نفسها سابقا البنت الوفيّة للأدب المقارن، أضحت العلاقة بينهما تتّجه نحو التنافس للصدارة.

3- مشكلة تحديد الوظيفة النوعيّة للأدب المقارن في نطاق المعرفة الأدبيّة، بحيث يكون له مبرّر داخلي وغاية نوعيّة .

لهذه المشكلات الثلاث أدلى المنظر الأمريكي" رونيه ويلكReneh Wellek عن مفهوم الأدب المقارن " إن اصطلاح الأدب المقارن متعب وشاق " وفي القول تصريح جليّ لصعوبة تحديد مصطلحه وضبط مفهومه، لهذا تضاربت الآراء في تعدّد مصطلحاته، إذ باجماع النقاد هو من المصطلحات الخلافيّة منذ ظهوره كعلم مستقلّ بذاته، فهو ضعيف الدلالة على المقصود منه ومع هذا آثر استخدامه كمصطلح تاثب شيخ الأدب المقارن " بول فان تييغم Paul van tieghemوفي نفس الوقت لم يعارض ما أدلى به بقيّة المنظرّين من تسميات تنوّعت بين: 1- الآداب الحديثة المقارنة. 2- تاريخ الادب المقارن وقد استخدمه جويف تاكست josef text وجان جاك أمبير Jean jack ampire عام 1832. 3- التاريخ الأدبيّ المقارن، تاريخ الآداب المقارنة، التاريخ المقارن للآداب "

وجدير بنا الذكر أنّ مصطلح تاريخ العلاقات الأدبيّة الدوليّة هو الذي اقترح حسب أهل الاختصاص كتسمية مناسبة تدل على مقاصد البحث الادبيّ المقارن، وكانت هذه التسميّة من قبل " فرونسوا ماريوس غويار François Maruis Guyard

وممّا لاحظه بعض المختصين أن تسمية تاريخ الأدب هي الأقرب للمفهوم الأصليّ، باعتبار أنّ الأدب المقارن يبحث في تاريخ العلاقات الأدبيّة وآليّات التأثير والتأثر،

وفي ظلّ هذا الاختلاف،حسم المنظر الفرنسي بول فان تييغم Paul Van tieghem النقاش بقوله " لقد استعمل الأدب المقارن litt compareé في فرنسا كاصطلاح متعارف عليه منذ قرن تقريبا ، فمنذ عام 1827 استعمله فيلمان Villeman في محاضراته في السربون ومع عام 1830 وضعه عنوانا لمحاضراته في عدة منابر أو حلقات دراسة وابتداء من عام 1840 وضعه في كتب عديدة، وحوالي القرن الأخير أخذ الإسم ينتشر أكثر فأكثر حتى اصبح واضح المعالم، سهل الاستعمال إلى حد أن ليس هنالك من داع لاستبداله باسم آخر "

هذا فيما تعلّق باشكاليّة مطابقة المصطلح لمدلوله أمّا بخصوص بنية الكلمة، فقد تردّدت تساؤلات حول إن هو مقارن – بكسر الراء – أم مقارَن بالفتح، وهو في حقيقة الأمر شاع

وذاع المصطلح الفرنسي Littérature Comparée أي أدب مقارن على صيغة اسم فاعل، امّا مقارَن على صيغة اسم مفعول فهي واردة في الاصطلاح الانجليزي . Comparative

إنّ هذه الاختلافات البيّنة تدفع الدارسين إلى تظافر الجهود المعرفيّة وتوحيدها للرسوّ بهذا الحقل المعرفيّ الذي يسهم في تجسير معبر المثاقفة، عند مصطلح تابث، كما انّ الأمر يقتضي إعادة النظر في محاوره وخصوصا الترجمة والتأثير والتأثر ومحاولة التنسيق بينهم أو على أقل تقدير، إعادة بعث الروح التكامليّة المعرفيّة بين هذه المحاور. وفي كلّ الأحوال يبقى الأدب المقارن حقلا معرفيّا تجاوز فواصل الزمان وحدود المكان.

تذكير بأهم عوامل نشأة الأدب المقارن:

يمكن إجمال أبرز عوامل نشأة الأدب المقارن فيما يلي:

-1بروز فكرة توحيد الآداب لدى بعض الفكريين الأدبيين أمثال فولتيرVoltaire ، روسو Rousseau، و إنّ الحديث عن توحيد الآداب يستوقفنا بالحديث عن المستشرف الألماني غوته الذي كان له فضل السبق في الدعوة إلى توحيد الآداب إلى العالمية أي تجاوز كل الحدود و الأمم و نزعات التفرد و الإنفراديّة، وهنا نستحضر قول المهاتما غاندي " إنني أفتح أبواب للشمس و الريح ، لكن أتحدى أيّة ربح تحاول أن تقتلعني من جذوري " أي أنّ هذا الإتجاه دعا إلى فكرة التخلي عن فكرة إدعاء تفوق أدب ما على الآداب الأخرى، بحيث يعتبر المستشرق الألماني غوتا Gothe أول من نادى إلى ضرورة توحيد الآداب ، وانساق على نحوه كل من روسو و فولتير كما اتضح أنّ الآداب الأوربية ما هي إلا حصيلة تفاعلات مشتركة .

-2اعتبار الاتجاه الرومانسي في الأدب اتجاه شامل يُعني بكل المراحل، أي بعد تطوره إلى اتجاه انساني شامل يتعدى مفهوم الأوروبي و يتطلع باتجاه التجربة الشرقية العريقة .

-3اتساع الأفق الأدبي والمعرفي لدى الكثير من الباحثين نتيجة لاتصال الثقافات بين الشعوب الأوروبية ، بحيث بدأ كل شعب يتعرف على الطرف الآخر و ذلك بإطلاعهم ومعرفتهم بأدب بعضهم البعض عن طريق الترجمات أو القراءة المباشرة للنص بلغته

الأصلية أي معرفة مباشرة للغات الأجنبية الأخرى مثلا : فرنسا بدأت تشعر بتأثير الأدبيين الألماني و الانجليزي بعد أن كانت منصرفة إلى الأدبيين الإيطالي و الإسباني .

-4ميلاد فروع معرفية ترتكز على المقارنة العلمية بين الأمم و محاولة الكثير من العلماء على استغلالها لها ، و الإستفادة لما وصل إليه الغير من تطور علمي و معرفي خارج نطاق حدود بلدانهم، مما أدى إلى ظهور فروع معرفية علمية جديدة مثل علم الميثولوجية المقارن و علم التشريع المقارن و علم اللغة المقارن بحيث يقول في هذا الصدد الفرنسي إدجار كينيه " Edgard Quinet لقد قالوا تشريع المقارن ألا يمكن أن يقال أدب مقارن أو أي شيء آخر قريب فيه يندرج في هذا السبيل "

-5اصدار الكثير من الباحثين الأدبيين و على رأسهم الفرنسي إدغار كينيه Edgar quienet بضرورة ايجاد علم أدبي مقارن .

أما بالنسبة للأسباب التي ساعدت على ظهور الأدب المقارن بفرنسا قبل غيرها من الدول الأوروبية الأخرى ، فيعود لعدة عوامل كانت مناسبة في تلك الفترة في فرنسا من أهمها :

-1استعداد المناخ الثقافي الفرنسي منذ العصر الكلاسيكي لممارسة البحث الأدبي المعمق في تلك الفترة عد أن تعاقب عليها حكام اهتموا بالعلم و الثقافة و عملوا على جعل فرنسا مركزا ثقافيا في أوروبا .

-2تفطن الفرنسيين إلى قيمة التراث المشترك بينهما و بين المناطق الأوروبية الأخرى مما كان سببا في نشأة أساس فكرة الأدب المقارن .

-3 رغبة الفرنسيين في استرجاع مكانتهم الثقافية الماضية من خلال السيطرة الثقافية على المستعمرات الفرنسية في البلدان الافريقية.

الأدب المقارن: البدايات، النشأة عند العرب القدامى

لم يكن العرب القدامى في معزل عن بقيّة الشعوب خصوصا في الجانب الأدبيّ على غرار ما رُوّجَ عنهم أنهم تشبتوا بالانكفاء والعزلة فيما بينهم، إلاَّ أنَّ الاحتكاك والتواصل مع غيرهم عبر مختلف الطرق التجاريّة، السياسيّة وغيرها، جعلهم يهتمون بحركتيْ التأثير والتأثر التي تجلّت في نتاجاتهم الأدبيّة، شعريّة كانت أو نثريّة، إذ استخدموا بعضا من الكلمات الفارسيّة. كما قاموا بالتمييز بين ما هو سوماريّ وآشوريّ وقارنوا أعمالهم بمؤلفات يونانيّة بفضل الفعل الترجميّ.

ونجد إشارات للجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن بلاغة الفرس، الهند واليونان " وأشار إلى بعض الخصائص المشتركة بينها وبين بلاغة العرب "

إلاّ أن تلك المقارنة المستوحاة من دراسته الشخصيّة – وهي بطبيعة الحال اجتهاد عصاميّ - لم يكسبها منهجيّة علميّة محدّدة، كما قام بتبيان الألفاظ الدخيلة على اللغة العربيّة، تلك الألفاظ التي جرت على لساننا مجرى العادة فنحسبها عربيّة، وهو عمل في ذاته المعرفيّة وجه من أوجه المقارنة لا الموازنة. ومع هذا تعتبر الدراسة تلك مقتضبة نوعا ما هذا لأنها ضُمّنَت في بعض الصفحات. وقد أدلى الدكتور محمد عباسة بدلوه " لقد استحسن الجاحظ بلاغة الأمم الكبرى واستهجن البعض الآخر، ولمن لما قام بهذه المقارنات لم يكن معاديا للثقافة الأجنبيّة، ولم نلتمس شيئا من الاستعلاء في آراءه. "

كما تطرّق إلى صورة الفرس في كتابه البخلاء الذي يعدّ من أقدم الكتب التي تطرّقت إلى الغيريّة، أو ما يعرف بدراسة صورة الآخر لدى الأنا، وهذا ما اصطلح عليه بعلم الصورة الأدبيّة أو الصورولوجية L'imagilogie وهو محور أساسيّ في إعلاء صرح المقارنة الأدبيّة.

وقد تنوعّت الدراسات الجاحظيّة وتشرّبت من النبع الترجميّ، إذ نجده تطرّق واجتهد فيما تعلّق بترجمة الشعر، ففي كتابه الحيوان أدلى أنّ " الشعر لا يجب ترجمته وإلاّ ذهب حُسنه وأصبح كلاما عاديا بخلاف النثر الذي يمكن ترجمته دون أن يفقد شيئا من حقائقه "

يتبدّى بجلاء لأيّ باحث مقارن أن الحديث عن الترجمة كان له فضل السبق في الظهور منذ القدم عند العرب القدامى، أي ليس كما يُعْتَقد أنه حديث التبني المعرفيّ من قبل الغرب وفقط. كما نجد أن الجاحظ قد تطرّق إلى جملة الشروط الواجب توفرها في الترجمان " لابدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه، في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها غاية. "

فلا موارية من الإدلاء بأن الجاحظ قد سبق رواد الحقل المقارن الأدبيّ بألف عام، كما يستوجب الحديث عن الأدب المقارن عند العرب القدامى، التطرق إلى ابن الأثير، إذ تحدّث في كتابه "المثل السائر " عن المعاني الخطابيّة عند كل من الأدباء العرب واليونان وقام بالإشارة إلى الفروقات الشعريّة العربيّة والفارسيّة من حيث البناء الشكلي.

أمّا بالنسبة للموازنات فلقد شهدت رواجا واهتماما بليغا تجلَّى في الأسواق الكلاميّة منذ العصر الجاهليّ، كما حظيت باعتناء العديد من الباحثين العرب والمستشرقين على رأسهم المستشرق الألماني يوهان غوته.... Yohan Gothe ولقد ألف القاضي الجرجانيّ كتابا موسوما ب " الوساطة بين المتنبي وخصومه " كما ألّف الآمديّ " الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتريّ ". إلاّ أن الجرجانيّ ابتغى من نتاجه الأدبيّ التوسط بين المتنبي وخصومه، بينما قصد الآمديّ المفاضلة بين أي تمام والبحتريّ.

كان التطرق لهذه التمثلات المقارناتية وغيرها مما يقربها من علاقات معرفيّة لغرض تبيان أن لحقل الدراسات المقارنة حضور جليّ عند العرب القدامى وتفنيد ما تروّجه بعض الدراسات الغربيّة التي ادّعت انحصاره في أقاليمها أو جعله كمركزيّة تنبثق من بيئتها بجعل ما تُصدره أدبيّا إنما هو مؤثر في كل الأحوال.

الأدب المقـارن في الجـزائر:

لم تكن الجزائر في معزل عن مسايرة الركب الأدبيّ المقارن، إذ شرع التدريس الجامعيّ له بالجزائر مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين، إلا أنه – الأدب المقارن – لم ينزاح عن المنهجيّة الفرنسيّة آنذاك. ويُعدّ الدكتور محمد بن أبي شنب من أوائل الأساتذة المنتسبين للجامعة والذي أسهم بعديد المقالات أهمها" المصادر الإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة نشرت سنة 1919م في المجلة الإفريقيّة " 1. وحيث أن الجامعة كانت تتماشى بمنهجية بحث فرنسيّة، فإن اللغة المعتمدة كانت اللغة الفرنسيّة وكان الدكتور العلامة محمد بن أبي شنب عضوا بهيئة التحرير للمجلّة الإفريقيّة.

وظل البحث المقارن سائدا وفق معايير المدرسة الفرنسيّة إلى حين الاستقلال. وفي عام 1963 قام الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب وهو نجل الدكتور محمد بن أبي شنب، بتأسيس فرع للأدب المقارن بجامعة الجزائر العاصمة و أصدرت الجامعة الدفاتر الجزائريّة للأدب المقارن Cahiers Algériens de littérature comparée بإشراف الدكتور **جمال الدين ابن الشيخ**، إلا أنه لم يُكتب الدوام لهذه الجمعيّة بسبب مغادرة مؤسسيها للبلاد الأجنبيّة .

أمّا عن تغيرّ المسار اللغوي المقارن بالجزائر كان مع بداية السبعينات بشراكة بين أساتذة جزائريّين ومشارقة كما أدلى الدكتور محمد عباسة أنّ مادة اللغة العربيّة لم تُدرّس إلا في بداية السبعينات على يد بعض الأساتذة الجزائريين بعد اتمام دراستهم، بالإضافة إلى المشارقة المتعاونين وعلى رأسهم الدكتور الطاهر أحمد مكي. وكان هذا التغير في الجانب اللغويّ نقطة تحوّل في منهاج البحث المقارن ومضامينه، إذ نجد الدكتور أبو العيد دودو قد قدّم طروحات معرفيّة مستفيضة حول ما تعلّق بصورة الجزائر لدى الرحالة الألمان وقام بترجمة عدة كتب عديدة للأدب المقارن من اللغة الألمانيّة إلى اللغة العربيّة كما ترجم أوّل رواية ظهرت في التاريخ الأدبيّ ألا وهي الحمار الذهبي L'ane d'or للأديب الجزائريّ لقيوس أبوليوس.Lucuis Apuleius

ولم ينحصر المجال المعرفيّ المقارن في منطقة دون أخرى أو على باحث دون آخر، بل انتشر بين ربوع الجزائر، ففي عنابة نجد الدكتور **عبد المجيد حنون** ممّن اهتموا بعلم الصورولوجية أو الصورة الأدبيّة فكتب " صورة الفرنسيّ في الرواية المغاربيّة ". وفي وهران نجد الدكتور **عبد الواحد شريفي** قد استفاض في كتاباته حول الليالي الشهرزاديّة وأثرها على الآداب الأوروبيّة عامة والفرنسيّة خاصة كما قام بتبيان سرد تاريخي ترجميّ لها في عديد اللغات.

كما نجد للأستاذ الدكتور **محمد عباسة** مؤلفا موسوما ب " أثر الشعر الأندلسي في شعر التروبادور منذ نشأته حتى القرن الثالث عشر ميلادي " وهي رسالة ماجستير ناقشها بجامعة بغداد عام 1983، كان قد اعتمد عليها الدكتور **داوود سلوم** كمرجع في كتابه عن الأدب المقارن دراسات تطبيقيّة. وللدكتور اثراءات فكريّة جمة حول ما تعلّق بالروابط المعرفيّة بين حضارة الأندلس والحضارة الغربيّة في القرون الوسطى، كما أسّس مجلّة حوليات التراث وهو أستاذ محاضر بجامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

وممّن اختصوا في كذلك في ذات المجال الأدبيّ المقارن الدكتور **عبد القادر توزان** خريج جامعة المستنصريّة، بغداد وهو استاذ بجامعة الشلف. قدّم رسالة معرفيّة موسومة ب" الشعور بالاغتراب عند ابي العلاء المعريّ وألبير كامو" . نقلا عن د- الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن،أصوله، تطوره ومناهجه، دار المعارف، ط1، القاهرة 1987، ص 193.

لقد حقق الأدب المقارن على أيدي الاساتذة السابق ذكرهم وغيرهم من الدكاترة:

لخضر بن عبد الله، عبد الإله ميسوم، وعز الدين مناصرة الفلسطيني الأصل والذي درّس بالجامعة الجزائريّة، قفزة نوعيّة أقل ما يُقال عنها أنها عمل جادّ استثنائيّ في مسار الرؤية المقارناتيّة بالجزائر، هذه الرؤية التي تتطلع إلى انتاج مفاهيم جديدة، كان من شأنها تحفيز العديد من الباحثين إلى الاعتناء بهذا المجال المعرفيّ المقارن وتحمّل مشقة الغوص في ميادينه بطرح رؤى جديدة كان لها فضل السبق في اقتراح مواضيع مقارناتيّة ولاّدة وهذا ما تلمسناه في كتاب الدكتوره ياسمين فيدوح والموسوم ب " إشكالية الترجمة في الأدب المقارن

" وكذا ما قدّمته أ/ أمينة دحو من طرح للبحث عن مصادر الثقافة الإسلاميّة في الرواية الانجليزيّة التولكينيّة محاولة فيه تقويم حركية التأثير والتأثر على وجهها النزيه، بتبيان أوجه الائتلاف والاختلاف وهي رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-

وخلاصة القول أن الأدب المقارن بالجزائر لم يتشدّد في ضرورة تتبع المنهج التاريخي ولم يبالغ في الارتكاز على المنهج النقدي، وإنّما سعى إلى توليد مفاهيم معرفيّة جديدة وفق معايير تنصف كل باحث موضوعيّ نزيه.

المسار المقارناتي عند كل من أبي شنب وأبو العيد دودو " رحمة الله عليهما"

لا موارية في أن الأستاذ الدكتور **محمد بن أبي شنب** أدرك المرامي الخفيّة والجليّة للمستدمر الفرنسيّ، إذ تلمّس و غيره محاولة بعض من المستشرقين الفرنسيّين لطمس الهويّة الجزائريّة وزعزعة الثقافة الإسلاميّة. حينها أملى عليه واجب الانتماء الديني تصحيح صورة الهويّة الجزائريّة تجسير معبر المثاقفة – إذ لا يخفى أن العرب المسلمين أيقنوا « ضرورة المسايرة الثقافية لمختلف الأمم، فانفجرت عيون ترجمية وتدفقت في النهر العربي واعتبرت الوسيلة المفضلة للتعرف على ما لدى الآخرين من معارف ومناهج فكرية مفيدة. بالمقابل أيضا لتعريف الغير ما للشعوب كون الثقافة أخد و عطاء التقاء وارتقاء وليست مسيرة وحيدة الاتجاه، وهي في مجملها مرحلة متتابعة باستمرار لابد من العبور عليها لترجمة وتعريب كل ما يخدم الفكر و المجتمعات ولإثراء اللغة ودفع عجلة سيرورتها لتواكب اللغات العالميّة بعلومها، آدابها، فنونها و تقنياتها المتعددة » 1.

و الأستاذ الدكتور محمد بن أبي شنب ممّن لم يتوانوا لحظة في إعلاء صرح الأمة مشيدا بمبادئها ومقوّماتها على الرغم من بعض الانتقادات التي وجّهت له أنه كان وفيّا لبنوذ المدرسة الفرنسيّة، لكن كان له فضل السبق في عديد الأمور التي تحسب له – لا يمكن حصرها في نقاط معيّنة – و يمكن إجمال بعضها في أنّه « أخذ على عاتقه إنجاز ثلاث مهام هي : 1- مهمة إحياء التراث الأدبي والعلمي والفكري العربي العريق . 2- مهمة ترجمة

مختارات من هذا التراث إلى اللسان الفرنسي . 3- مهمة تحقيق تواصل عكسي عبر الترجمة التعجيمية بين الشعبين الجزائري والفرنسي. و قد تحقق لابن أبي شنب ما أراد ، فقد قام في فترة وجيزة لا تتعدى العشرين سنة بتحقيق مجموعة هامة من الدراسات العربية المغاربية و الجزائرية الهامة، واستطاع في الفترة نفسها أن يترجم جزء من تلك الدراسات والدواوين الشعرية إلى اللغة الفرنسية عبر منهج علمي أكاديمي دقيق » 2.

الأمر الذي يوطّد فكرة أن الأستاذ الدكتور محمد بن أبي شنب كان ولا تزال كتاباته و أعماله تعزّز وطنيّته المتجليّة في عديد المواقف أيضا، إذ دعا إلى المثاقفة مع ضرورة تحصين الذات. تلك الأخير – المثاقفة – التي تتأتّى بوسائط مختلفة، تأتي في طليعتها الترجمة ولم تكن بدورها في معزل عن الحقل المعرفي لدى العرب القدامى. « فقد روى الترمذي بسنده عن زيد بن ثابت قال " **أمرني الرسول صلى الله عليه و سلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود و قال إني و الله ما امن يهود على كتابين قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمتها له** » 3.

و نظرا للقاعدة المعرفيّة التي امتلكها الأستاذ الدكتور **محمد بن أبي شنب**، فقد أدى دوره خير تأدية خصوصا في المجال الترجميّ.

فما هي الإسهامات الترجميّة التي قدّمها محمد ن أبي شنب لتحقيق التواصل الثقافيّ؟

لطالما عرفت البشريّة تمايزات واختلاق فوارق طبقيّة على أسس واهية، ولقد طالت هذه العنصريّة حتى المجالات المعرفيّة، إذ صنفت آداب للأسياد وأخرى للعبيد. فالفرنسيّون حدّدوا مسار المثاقفة في اتجاه معيّة ألا وهو أن تكون ثقافة سيّدة أخرى متأثرة بها وتتماشى على منوالها، و بحكم احتكاك الأستاذ الدكتور محمد بن أبي شنب بالفرنسيّن، فقد حدّد من جهته هو كذلك دوره الطليع في إنعاش التراث وإيصاله لمختلف الأمم. الأمر شبيه بإعادة إبراز مكانة علم الصورة في الأدب المقارن، كيف لا وهو من أعاد تصحيح الصورة السلبيّة التي حملها الغرب اتجاه العالم العربيّ والإسلامي !! كما ترجم من وإلى اللغة العربيّة واللغات الأخرى، بحكم إتقانه لها. إذ يحتسب له كذلك تنقيحه لمعجم

العالم بوسي واعتنائه بمعجم ابن سديرة العربي الفرنسي، وكتابه بالفرنسية الذي بين فيه مآخذ دانتي الشاعر الايطالي من الأصول الإسلامية في كتابه **ديفينا كوميديا**، والذي نشره سنة 1919م وغير ذلك." 4.

فالترجمة أهم ركيزة لامتداد جسر المثاقفة وتعتبر كذلك تمظهرا للراهن المعرفيّ لأيّ مجتمع. ولدى العالم عامّة والمجتمع الجزائريّ خاصة علما فذا و ذخيرة فكريّة نفيسة من أمثال العلاّمة المرحوم محمد بن أبي شنب الذي قدّم انجازات ترجميّة إلى اللغة الفرنسيّة " واختياره لها يحمل دلالات كثيرة أهمها التأكيد على القيم الفنية العالية للتراث العربي القديم وتصحيح نظرة الرأي العام الغربي للأدب العربي والتراث العربي عموما والتي ساهم بعض المستشرقين في تزييفها . أمّا منهجه في الترجمة ف – كان على حد تعبير أنور الجندي - يترجم كل كلمة إلى اللغة الفرنسية، ومع زيادة وشرح وتفصيل في بعض الكلمات ويقوم باختصار بعض الكلمات إلى رموزها مثل رحمة الله رح/ أصلا أص 5

-و من بين الدراسات التحقيقيّة التي استفاض فيها، الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية. هذا الطرح الذي ابتغى من وراءه اطلاع الجزائريّ وتثقيفه بما يمارسه لغويّا من ألفاظ قد لا يعي أصلها والتي هي في معظمها تركيّة و فارسيّة. كما حقق العلاّمة المرحوم ابن أبي شنب كتاب التكملة لكتاب الصلة "طبع بالمطبعة الشرقية بالجزائر 1920 يضمّ 462 صفحة، وهذه التكملة لأبي عبد الله محمد القضاعي البلنسي المعروف بإبن البار وهو القسم الأول المفقود من مطبعة الشيخ فزاره زيدين في مدريد 1889..

مسيرة العطاء التي قدمها العلامة المرحوم **بن أبي شنب** لا يمكن حصرها في طرح واحد نظرا لوافر الخدمات الجليلة التي قدمها، لهذا قال عنه المستشرق الفرنسي ألفريد:

كان ابن أبي شنب مخلصا لدينه، ومتمسكا بلباسه التقليدي، ولكي لا يتنكر لتقاليده الإسلامية لم ير من الواجب أخذ الجنسية الفرنسية مما يجبره على التخلي عن الشرائع الإسلامية وعن منزلته الشخصية

و قال عنه الأستاذ **أحمد راسم: "لقد كان معجما لغويّا يمشي على وجه الأرض"**

و حيث إن الجزائر ولاّدة لنوابغ حقّقوا ذيوعا عالميّا وقدّموا خدمات معرفيّة يشهد لها التاريخ الأدبيّ المقارن وكذا الترجميّ، فإن المقام يحيلنا إلى الأستاذ الدكتور المرحوم **أبو العيد دودو** من مواليد 1934م بجيجل، ناقد ادبيّ، قاصّ، أستاذ جامعيّ و مترجم. تلقّى تعليمه بمعهد عبد الحميد بن باديس ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، ليلتحق فيما بعد بدار المعلمين العليا في بغداد ثم إلى النمسا أين تحصل من جامعتها على دكتوراه برسالة عن ابن نظيف الحموي سنة 1961م، درس بالجامعة التي تخرج منها ثم بجامعة كييل بألمانيا قبل أن يعود إلى الجزائر. له العديد من الأعمال الأدبيّة المتنوّعة:

- بحيرة الزيتون (قصص 1967م)، - التراب (مسرحية 1968م)، - دار الثلاثة (قصص 1971م)، - البشير (مسرحية 1981م)، - الطريق الفضي (1981م)، كتب وشخصيات (دراسة 1971م)، - الطعام و العيون – قصّة – 1975. - الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (دراسة 1975م)، صور سلوكية (تأملات اجتماعية)، الحمار الذهبي للوكيوس أبوليوس، مارتن هايدغر: أصل العمل الفني،...

.إنتقل إلى رحمة الله تعالي اليوم الجمعة 16 جانفي2004

من بين أعماله الترجميّة:

"تراجمه من الألمانية: مدّ أبو العيد دودو بتنقله السهل بين اللغتين العربية والألمانية جسورا بين الثقافتين فنقل إلى العربية بعض ما كتبه الرحالة الألمان عن المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي, وهي صفحات عمل المستعمر على تغييبها من تاريخ الجزائر, ومن بينها:

-**القصة الاولى من ثلاثية (مالتسان):** التي كتبها عن الجزائر في القرن التاسع عشر - مدخن الحشيش في الجزائر. - الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان الذي صدر سنة 1975 . - ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا لمالتسان . - قسنطينة أيام أحمد باي لشلوصر.

تراجمه من اللاتينية : وتعد ترجمته الكاملة إلى العربية من اللاتينية لأول رواية في تاريخ الانسانية الحمار الذهبي لابن مداوروش الأديب والفيلسوف لوكيوس أبوليوس من أنفس ما قدّم للمكتبة العربية. وقد اختار **دودو** في ترجمته لهذه الرواية كلمات عربية قديمة نوعا

ما كي يجعل القاري يعيش أجواء الأحداث في زمنها البعيد, زمن السحر وأمزجة الآلهة مما يكشف عن المتعة اللامتناهية التي صاحبته وهو يتنقل بالقارئ من قصة لأخرى تحتويها كما تتفتح الدمى الروسية الواحدة عن الأخرى. وقد عانى أبو العيد دودو كثيرا من مشكلة النشر ومازالت عشرات المخطوطات الإبداعية في مختلف الميادين من ترجمة ودراسة وابداع أدبي تتكدس في بيته الصغير بأعالي العاصمة, كما يوجد غيرها لدى عدد كبير من دور النشر الجزائرية والأجنبية " 7

قائمة المصادر والمراجع:

1- أ/ أمينة دحـو – الفضل الترجمي في تجسير معبر المثاقفة- المؤتمر الدولي الثاني، التراث العربيّ و الإسلاميّ – الرصيد و العمل و المثاقفة و الحضور – معهد المخطوطات العربيّة المنظمة العربيّة للتربية و الثقافة و العلوم " ألسكو – مركز إحياء التراث العلميّ- جامعة بغداد - 22/21 فبراير 2018 – القاهرة.

2- أ/ حسين تروش – الانتماء الحضاري و التواصل مع الآخر من خلال الترجمة عند محمد بن أبي شنب (1929/1869 (-كلية الآداب و العلوم الاجتماعية جامعة فرحات عباس – سطيف – الجزائر.

3- FATWA.ISLAMWEB.NET/FATWA/INDEX.PH

4- محمد بسكر - محمّد بن أبي شنب رحمه الله وجهوده في إحياء التراث- 04- 11- 2016- نقلا عن الموقع الالكتروني http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p

5-أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة1965 ص232 .

6-محمد إبن أبي شنب :كتاب التكملة لكتاب الصلة ، مجلة مجمع اللغة العربية اللغة بدمشق، السنة الثانية، دار صادر، بيروت . 288ص م1922 – 1340

7-أ/ بشير خلف – سوف، أوراق ثقافيّة، 4 مارس 2013 نقلا عن الرابط الإلكترونيّ: http://soufaouraktakhafia.blogspot.com/2013/03/blog-post_1010.html

سؤال للعمل الموجّه عن بعد

يقول رونيه ويلك Reneh Wellek" إن اصطلاح الأدب المقارن منهك وشاق "

المطلوب: حلّل القول وناقشه في مقال بأسلوبك الخاص

ملاحظة: تُستلم الإجابات قبل تاريخ 8 ديسمبر 2022